

بَابُ فِي الَّذِينَ مَاعَثَرْتُ عَلَى أَشْعَارِهِمْ فَاقْتَصَرْتُ عَلَى نَكْتِهِ مِنْ أَخْيَابِهِمْ

المائة الأولى من الرحبيرة

دخل إفريقية من أمراء الصحابة رضى الله عنهم^(١) :

١٧١ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح

القرشي العامري ، وهو افتتحها في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

سنة سبع وعشرين .

(١) سبق أن ترجم ابن الأبار لعمر بن العاص أول من دخل المغرب فاتحاً من العرب . وهو هنا يترجم لبقيّة من اشترك في فتوح المغرب من الصحابة والتابعين ممن لم يؤثر عنهم شعر . وهو يكتفى هنا بفقرات ينقلها عن « فتوح مصر والمغرب والأندلس » لعبد الرحمن بن عبد الحكم ، ولهذا فسأكتفى هنا بالمراجعة على ذلك الأصل . أما فيما يتصل بتفاصيل الفتح فقد اختصصناها ببحث طويل مفرد : « فتح العرب للمغرب » (القاهرة ١٩٤٨) ، وقد أعددنا له طبعة ثانية منقحة مزيدة استوفينا فيها كل ما ظهر من الأصول والأبحاث من تاريخ نشر الطبعة الأولى من هذا البحث إلى الآن .

١٧٢ - معاوية بن حديج السكوني

وقيل في نسبه غير ذلك^(١). غزوا إفريقية ثلاث غزوات : أولاها سنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان ، وأعطى عثمان مروانَ الخمسَ في تلك الغزوة ، ولا يعرفها [١-١٨٠] كثير من الناس ، والثانية سنة أربعين ، والثالثة سنة خمسين^(٢) ؛ / كذا حكى أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في تاريخه عن يزيد بن أبي حبيب^(٣).

وحكى أيضاً أن معاوية هذا خرج بعد عبد الله بن سعد إلى المغرب سنة أربع وثلاثين ومعه في جيشه عبد الملك بن مروان وجماعة من المهاجرين والأنصار ،

= وطبعة فتوح ابن عبد الحكم التي نرجع إليها هي التي نشرها ألبير جاتو ALBERT GATEAU وعنوانها : *Conquête de l'Afrique du Nord et de l'Espagne (2 ème édition)* Bibliothèque Arabe - Française, vol II Alger, 1947.

وهي طبعة جيدة أتى الناشر فيها بالنص العربي وفي مقابله ترجمة فرنسية ، وأضاف إلى ذلك تعليقات كبيرة الفائدة .

(١) الذي قيل في نسبه غير ذلك هو أنه من تَجِيب ، ولاخلاف بين القولين ، لأن السَّكُونِ فرع من بني أشرس بن كندة ، ولهم فرع ثان هم السَّكَّاسِك ، قال ابن حزم في الجمهرة : « أمهما تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رهساء بن مذحج ، نسبوا إليها . منهم : معاوية بن حديج بن جفنة ابن قتيبة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون ، له صحبة ، يكنى أبا نعيم » (الجمهرة ، ص ٤٠٣) . وانظر الاستيعاب لابن عبد البر ، ترجمة رقم ٨٠٦٢ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد القلقشندي (بتحقيق إبراهيم الإيباري ، القاهرة ١٩٥٩) ص ١٨٥ .

(٢) روى ابن عبد الحكم هذا الخبر بنصه تقريباً بعد الخبر الذي سيورده ابن الأبار فيما يلي . (فتوح ، ص ٥٨ - ٦٠) .

(٣) الخبر عند ابن عبد الحكم (ص ٥٨) مروى عن عبد الملك بن مسleme عن ابن طيعة من يزيد بن أبي حبيب .

فافتتح قصوراً وغنم غنائم عظيمة واتخذ قيرواناً فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر .
وبعث في هذه الغزاة عبد الملك بن مروان إلى جُلُولَا^(١) فافتتحها في خبر
غريب^(٢) تقدم ذكره .

وغيرُ ابن عبد الحكم يقول إن معاوية بن حُدَيج غزا إفريقية سنة خمس
وأربعين ، وأبُ الخُمس الذي أعطاه عثمانُ مروانَ هو خُمس ما غنم ابن
أبي سَرَح ، وكان عظيماً وهو أحد الأسباب المنعِيَّة على عثمان رضي الله عنه .

١٧٣ - وعقبة بن نافع الفهري

أغزاه معاويةُ بنُ أبي سفيان سنة ست وأربعين ، فخرج إلى إفريقية في
عشرة آلاف من المسلمين فاخطط مدينة القيروان ، وأسلف آثاراً كريمة ، وكان
من خيار الولاة والأمراء ، مستجاب الدعوة . ثم صُرف ، وأعيد ثانية في سنة
اثنين وستين فقتله البربر ومن معه بمقربة من تَفُودَة^(٣) في سنة ثلاث وستين ،
وقبره هناك يُتبرك به إلى اليوم .

(١) جلولا أو جلولاء مدينة صغيرة كانت على ٢٤ ميلا من القيروان . اسمها معرب
عن اللاتينية Cululis أو Cououlis (انظر عنها كتابنا فتح العرب للمغرب ، ص ١٢٣
هامش ١) .

(٢) تقدم ذكره عند ذكر عبد الملك بن مروان . والخبر وارد عند ابن عبد الحكم ،
ص ٥٨ .

(٣) تهوده (بالبدال أو الذال) : مدينة رومانية قديمة لم يبق منها إلى الآن إلا أطلالها .
وهي على أربعة كيلومترات تقريبا شمال واحة سيدي عقبة الحالية في جمهورية الجزائر .

١٧٤ - وبسر بن أرطاة بن أبي أرطاة القرشي العامري^(١)

غزى طرابلس مع عمرو بن العاصي فبعثه إلى وُدَّان^(٢) فانفتحها وفرض على أهلها ثلاثمائة وستين رأساً . ثم خرج مع عقبة بن نافع غازياً وافتتح قلعة من القيروان على ثلاثة أيام فعرفت بقلعة بُسْر إلى اليوم . وقد قيل إن الذي بعث بُسراً إلى هذه القلعة هو موسى بن نصير ، والأول أوضح وأصح .

ومن أمراء التابعين :

١٧٥ - أبو المهاجر دينار ، مولى الأنصار

قال ابنُ عبد الحكم : عُزل عقبة - يعني ابن نافع - في سنة إحدى وستين ، عزله مَسْلَمَة بن مخلد الأنصاري من قبل معاوية - يعني ابن أبي سفيان - وهو أول من جمعت له مصر والمغرب ، وولى أبا المهاجر ديناراً ،

(١) ورد اسمه في جبهة أنساب العرب لابن حزم (ص ١٦١) : بشر بن أرطاة بن أبي أرطاة . واسم أبي أرطاة عُمَيْر بن عويمر بن عمر بن الحُلَيْيس بن سيار بن مَعْيِص ، وهو أحد قواد معاوية وأكابر أصحابه . ثم عاد ابن حزم فذكره في ص ٣١٥ بْبُسْر بن أبي أرطاة ، والمشهور بسر .

(٢) وُدَّان مدينة في ليبيا الحالية تقع على مسيرة ١٢ يوماً جنوب صرت (سیرتا) . انظر عنها حتى القرن السادس الهجري : البكري ، ص ٢٩ - ٣٠ . وودان اليوم مدينة صغيرة زاهرة في ولاية طرابلس في المملكة الليبية ، وتقع في منخفض الجفرة على بعد ٣٨٠ كيلو متراً جنوب صرت .

مولى الأنصار ، وأوصاه أن يعزل عقبة أحسن العزل ، فخالفه ، فسجنه وأقره حديداً حتى أتاه كتاب الخليفة بتخلية سبيله وإشخاصه إليه ، فخرج عقبة حتى أتى « قصر الماء » / فصلى ثم دعا وقال : اللهم لا تُمتني حتى تمسكني من [١٨٠-ب] أبي المهاجر دينار بن أمّ دينار ، فبلغ ذلك أبا المهاجر ، فلم يزل خائفاً منذ بلغت دعوته .

ولما قدم عقبة مصرَ ركب إليه مسلمة بن مخلد ، فأقسم له بالله لقد خالفه أبو المهاجر فيما صنع ، « ولقد أوصيته بك خاصة »^(١) .

ثم قدم عقبة على معاوية فقال له : « فتحت البلاد ، وبنيت المنازل ، ومسجد الجماعة »^(٢) ، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي ! « فاعتذر إليه معاوية ، وقال : « قد عرفت مكان مسامة بن مخلد من الإمام المظلوم »^(٣) ، وتقديمه إياه ، وقيامه بدمه ، وبذل مهجته ، وقد رددتكم على عملك » .

قال : ويقال إن الذي قدم عليه عقبة هو يزيد بن معاوية بعد موت أبيه ، فرده والياً على إفريقية ؛ وذلك أصح ، لأن معاوية توفي سنة ستين^(٤) .

فخرج عقبة سريماً لحنقه على أبي المهاجر ، حتى قدم إفريقية فأوثق أبا المهاجر وأساء عزله^(٥) .

(١) إلى هنا يتابع ابن الأبار عبد الرحمن بن عبد الحكم حرفياً (ص ٦٨) ثم أسقط بعد ذلك فقرة كبيرة فيها تعليل مسلمة لعزله عقبة وتوليته أبا المهاجر ، وفيها طرف من أعمال أبي المهاجر في إفريقية .

(٢) أسقط ابن الأبار هنا من كلام عقبة : ودانت لي (ص ٦٨) .

(٣) يريد عثمان بن عفان .

(٤) هذا كلام ابن عبد الحكم .

(٥) هذا أيضاً كلام ابن عبد الحكم مع شيء من الاختصار .

وفي تاريخ أبي إسحاق الرقيق : أن أبا المهاجر لما قدم إفريقية كره أن ينزل
الموضع الذي اختطه عقبة بن نافع ، فمضى حتى خلفه بميلين مما يلي طريق تونس ،
فنزل واختط بها مدينةً أراد أن يكون له ذِكْرُهَا ، ويُفسد عملَ عقبة . وأمر
الناس أن يخرّبوا القيروان ويعمروا مدينته .

وذكر ابنُ عبد الحكم أيضاً نحو هذا ، وقال : كان الناس يغزون إفريقية
ثم يفتلون منها إلى القسطنطينية ، فأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى
الأنصار ، أقام بها الشتاء والصيف ، واتخذها منزلاً^(١) .

وعن غيره : أن معاوية تراخى في صرف عقبة بن نافع — كما وعده — إلى
عمله حتى توفي وولى ابنه يزيد بن معاوية ، فلما علم حال عقبة غضب وقال :
« أدركها قبل أن تهلك وتفسد »^(٢) ، فولاه إفريقية وقطعها عن مسلمة بن
مُخَلَّد ، وأقره على مصر ، وذلك سنة اثنتين وستين . فرحل عقبة من الشام
حتى قدم إفريقية ، وأوثق أبا المهاجر في الحديد ، وأمر بخراب مدينته ورد الناس
إلى القيروان .

وكان عقبة في ولايته الأولى لم يعجبه القيروان الذي بناه معاوية بن حُديج
قبله ، فركب والناس معه ، ويقال إنه كان في ثمانية عشر من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وسائرهم من التابعين ، فدعا الله وأصحابه يؤمنون عليه / وقد
[١٨١-١] أتى موضع القيروان اليوم ، وكان وادياً كثير الشجر ، تأوى إليه الوحوش
والسباع والهوام فنادى بأعلى صوته : « يا أهل الوادي ا ارتحلوا فإننا نازلون » .
نادى بذلك ثلاثة أيام ، وقيل ثلاث مرات ، فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش

(١) ابن عبد الحكم ، ص ٦٨ .

(٢) في رياض النفوس لأبي بكر المالكي : « أدركوها قبل أن يخرّبها » (ص ٢٢) .

ولا الهوام إلا خرج ، وأمر الناس بالخطط^(١) ، وركز رمحہ وقال : « هذا قَيْرَوَانُكُمْ » .

ولما قبض عقبه على أبي المهاجر غزا إلى السوس وهو معه في وثاقه ، ثم انصرف إلى إفريقية ، وقد جال في بلاد البربر وقتلهم كيف شاء ، فلما دنا من القَيْرَوَانِ^(٢) أمر أصحابه فافترقوا ، وبقي في قلة ، فأخذ على مكان يُقال له تَهْوُودَة ، فعرض لهم كَسِيلُ^(٣) في جمع كبير من الروم والبربر ، فاقتتلوا فقتل عقبه ومن

(١) رواية ابن عبد الحكم : « فأمر الناس بالتنقية والخطط ، ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله إلى مكان القيروان اليوم ، وركز رمحہ وقال : هذا قيروانكم » (ص ٦٦) . وقد ناقشنا هذه الأسطورة بالتفصيل في كتابنا « فتح العرب للمغرب » ص ١٤٠ وما بعدها .

(٢) ابن الأبار يتابع هنا ابن عبد الحكم مع تصرف كبير يخل بالنص ويفسد نسق الأخبار . انظر فتوح ابن عبد الحكم ، ص ٦٨ - ٧٠ ، وكتابنا « فتح العرب للمغرب » ص ١٣٥ وما بعدها .

(٣) كذا ورد الاسم هنا ، والمشهور كَسِيلَة . وقد تركت الاسم كما كتبه ابن الأبار فهي قراءة طيبة للاسم (راجع : فتح العرب للمغرب ، ص ١٧١ هامش ٣) .

وكسيلة زعيم من زعماء البربر كان شيخاً لقبيلة أَوْرَبَة من قبائل المغرب الأوسط ، واسمه الكامل : كسيلة بن لمزم - أَوْلَزَم أو أغز - الأوربي . وأول ما نسمع عنه حوالي سنة ٥٠ هـ . عندما تقدم أبو المهاجر دينار نحو المغرب الأوسط فيما يلي بنزرت غرباً . وكانت مضارب أوربة في المنطقة المحيطة بتلمسان وجنوبها . ويقال إن القبيلة كانت نصرانية ، وكذلك رئيسها ، ولكن ذلك غير ثابت . فلما سمع كسيلة باقتراب أبي المهاجر سار نحوه ، ووقعت بينهما حرب لم يطل أمدها ، لأن أبا المهاجر عرف كيف يكسب كسيلة إلى جانبه ، فدخل في الإسلام ، وارتبط الرجلان برباط صداقة كانت خير معين على الاستمرار في الفتح . وظل الأمر كذلك إلى أن عزل دينار أبو المهاجر وعاد عقبه بن نافع ، فقبض على دينار وأوثقه في الحديد ، وكذلك فعل بكسيلة سنة ٦١ هـ . وقام بغزوته الكبيرة التي بلغ فيها المحيط الأطلسي ، وقد تمكن كسيلة من الاتصال بقومه ودبر معهم الإيقاع بعقبه ، وهرب إليهم في أثناء ذلك ، وكان من أكبر المدبرين لمقتل عقبه في تهودة سنة ٦٣ هـ . ثم سار كسيلة واحتل القيروان ، وظل كذلك حتى سار زهير بن قيس -

معه ، وقُتل أبو المهاجر في الحديد ، وقيل إن عقبة لما غشيه البربر نزل فرمحه
ركعتين ، وبلغه أن أبا المهاجر تمثل بقول أبي مخجن الثقفي :

كفى حزنًا أن تُقرع الخيلُ بالقنا^(١) وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قت عتاني الحديدُ وأغلقتُ مصارعُ من دوني تُصمُّ المناديا
فأمر بإطلاقه وقال له : « الحق بالمسلمين فقم بأمورهم ، وأنا أغنم الشهادة » ،
فقال له أبو المهاجر : « وأنا أغنم ما اغتنمت » . فكسر كل واحد منهما
جفن^(٢) نفسه ، وكسر المسلمون أغماد سيوفهم ، وأمرهم عقبة أن ينزلوا ولا
يركبوا ، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قتلوا ، ولم يفلت منهم أحد ، وأمر محمد بن أوس
الأنصاري ويزيد بن خلف القيسي^(٣) ونفر معهما ففاداهم ابن مصاد صاحب
قصة^(٤) ، وبعث بهم إلى زهير بن قيس .

= البلوى بحملته على إفريقيق سنة ٦٩ ، فانسحب كسيلة إلى مدينة ممس - أو ممش - وهي حصن
بيزنطي كان يسمى M mma . وعند هذه المدينة دارت المعركة الفاصلة بين العرب وكسيلة ،
وقد انهزم فيها وقتل وتمهد الطريق لدخول المغرب الأوسط في رحاب الدولة الإسلامية . وكان
لهذه المعركة نتائج سياسية آتية .

انظر : فتح العرب للزب ، ص ١٧٥ - ٢٢٥ .

(١) الأصل : * كذا حزنًا أن تمزع الخيل بالقنا * وقد صوبت لفظ «تمزع» من رواية
المالكي في «رياض النفوس» ج ١ ص ٢٧ ، و«معالم الإيمان» للدباغ ، ج ١ ص ٤٩ .
والبيتان لأبي مخجن عبا الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي ، وقد أورد أبو الفرج
الأصبهاني القصيدة كاملة في الأغاني ج ٢١ ص ١٣٩ ، ولكن البيت الأول جاء محرفاً غير
مستقيم الوزن هناك .

(٢) الجفن : عمدة السيف .

(٣) لم أجد اسم يزيد بن خلف القيسي هذا إلا عند ابن الأبار .

(٤) ورد الاسم على هذه الصورة أيضاً عند ابن خلدون : ١٨٦/٤ ، وأبي المحاسن :

النجوم الزاهرة : ١٥٩/١٠ .

وقال ابن عبد الحكم : أن ابن الكاهنة البربري خرج على أثر عُقبة في توجهه إلى الشوس يغور المياه ، كلما رحل عقبة من منهل دفنه ابن الكاهنة^(١) . فلما انتهى عقبة إلى البحر أقم فرسه فيه حتى بلغ نحره ، ثم قال : « اللهم إني أشهدك ألا مجاز ، ولو وجدت مجازاً لجزت » . وانصرف راجعاً والمياه قد غورت ، فتعاونت عليه البربر ، فلم يزل يقاتل وأبو المهاجر معه في الحديد ، فلما استنحر الأمر أمر بفتح الحديد عنه ، فأبى أبو المهاجر وقال : « ألقى الله في حديدي ! » فقتلا ومن معهما .

١٧٦ - / وزهير بن قيس البلوي [١٨١-ب]

كان عُقبة بن نافع لما خرج إلى^(٢) الشوس استخلف على القيروان عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي ، فخالفه رجل من العجم في ثلاثين ألفاً إلى عمر وزهير وهما في ستة آلاف ، فهزمه الله^(٣) .

(١) لا ندرى على وجه التحقيق من المراد بابن الكاهنة هذا . وقد رجحت في بحثي عن فتح العرب للمغرب أن المراد به كسيلة (انظر ص ١٨٥ وما بعدها) ، وليس معنى ذلك أنه ابنها فعلا ، بل كناية عنه . وقد انفرد ابن عبد الحكم بهذا الخبر الهام الذي ألقى ضوءاً على ما كان يدبر لعقبة دون أن يدري . وفي الترجمة الفرنسية لنص ابن عبد الحكم تساءل ألبير جاتو في تعليق رقم ٨٨ ص ١٥٩ عما إذا كان كسيلة ابن الكاهنة حقاً . وقد اعتمدت في القول بأن المراد بابن الكاهنة هو كسيلة على ما ذكره ابن عبد الحكم نفسه في خبر ذكره قبل ذلك : « فأخذ - يعني عقبة - على مكان يقال له تهوده فعرض له كسيلة بن لسمزَم في جمع كثير من الروم والبربر » (ص ٧٠) . وقد أكد ذلك عبيد الله بن صالح بن عبد الحلیم (الذي نشر ليثي بروثنسال له نصاً عن فتح العرب للمغرب مع مقدمة قمنا بترجمتها في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمديرية ، مجلد ٢ سنة ١٩٥٤) بقوله في فقرة ١١ ص ٢٢٠ : « فلما قرُب من تهوده وجد كسيلة البرانسي قد جمع أكثر من خمسين ألف مقاتل من البرابر » .

(٢) الأصل : من ، وهو وهم من الناسخ .

(٣) هذا الخبر منقول عن ابن عبد الحكم (ص ٧٢) ولم يذكره أحد غيره ، ولم نجد في =

ولما قُتل عقبة زحف ابنُ الكاهنة^(١) إلى القيروان يريدُ عمرُ وزهير فقاتلاه ، فهزم ابنُ الكاهنة وأصحابه ، ثم خرجا إلى مصر بالجيش لاجتماع ملاء البربر^(٢) ، وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالى^(٣) إفريقية بإطرابلس .

ويقال إن عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر كتب إلى زهير بن قيس — وهو يومئذ ببرقة — يأمره بغزو إفريقية ، فخرج في جمع كثير ، فلما دنا من قنونية^(٤) ، وبها عسكر كسيل^(٥) ، عبأ زهير لقتاله ، فقتل كسيل ومن معه ، وانصرف زهير إلى بركة وذلك سنة أربع وستين^(٦) .

المراجع اليونانية أو اللاتينية ما يدل على أن البيزنطيين أو أى طائفة أخرى من الإفرنج حاولت الهجوم على إفريقية أو القيروان أثناء غياب عقبة . ويبدو أن الخبر كله غير صحيح ، إذ أنه يستبعد أن يهاجم إفريقية أو القيروان جيش من ٣٠ ألفاً دون أن تفصل أمره المراجع . وقد ترجم ألبير جاتو عبارة « رجل من العجم » بقوله : *un étranger* ، وهو تخلص ذكى من صعوبة تحديد المراد بهذا الرجل من العجم . انظر تعليقه رقم ٨٣ ص ١٥٩ .

(١) من الواضح أن المراد بابن الكاهنة هنا هو كسيلا .

(٢) المراد : لانضمام معظم بربر إفريقية إلى كسيلا .

(٣) العبارة منقولة بنصها عن ابن عبد الحكم (ص ٧٤) ، وهذه أول مرة يرد فيها ذكر موال للعرب من أهل إفريقية .

(٤) فى الأصل « قونية » نقلا عن ابن عبد الحكم (ص ٧٦) وهو خطأ ، والصواب قونية ، وتكتب أحيانا قمودة وهى الصورة الأصح ، لأن الاسم معرب عن *Caput - Vada* بلدة كانت قائمة إلى جنوب سوسة الحالية التى كانت تعرف أيام الرومان باسم *Hadrumentum* ، وقد أطلق العرب اسم قمودة (وتحريفه قونية) على الإقليم الممتد من جنوبي سوسة إلى إقليم قسطنطينية ، هكذا حدده ابن حوقل ، وأضاف التيجانى أن إقليم قمودة يصل إلى البحر ، وذكر أنه يضم مدناً كثيرة مثل قاصرة ومذكورة ونقباويس وجمبونيس الصابون .

انظر : فتح العرب للمغرب ، ص ١٤١ .

(٥) هنا أيضاً ورد الاسم على هذه الصورة .

(٦) كان اللقاء عند مسمس التى ذكرناها ، ورياض النفوس للملكى أكثر المراجع

نصيلا هنا (انظر : ج ١ ص ٣٠) وغالبية المؤرخين على أن الموقعة كانت سنة ٨٦٥ .

ويقال : بل حسان بن النعمان كان الذي وجه زهير بن قيس^(١) .
 وذكر أبو إسحاق الرقيق أن زهيراً هذا أراد الانصراف إلى مصر بعد قتل
 عقبة ، وقد رعب هو وأصحابه ، فقبل له : أهزيمة من المغرب إلى مصر ؟ فعزم
 على القتال وقام خطيباً فقال : « يامعشر المسلمين ، إن أصحابكم قد دخلوا الجنة إن
 شاء الله ، وقد منَّ الله عليهم بالشهادة ، وهذه أبواب الجنة مفتحة ، فاسلكوا
 سبيل أصحابكم أو يفتح الله لكم دون ذلك » . فخالفه أبو شجاع حنَّس
 الصنعاني ، ورحل واتبعه الناس ، فلما رأى ذلك زهير نهض في أثره ، ومَلَكَ
 البربرُ القيرَوَانَ .

وأقام زهير بنواحي برقة مرابطاً ، فوجه إليه عبدُ الملك بن مروان بغزو البربر
 واستنقاذ القيروان ، وأمدّه . فالتقوا فقتل كَسِيل . ودخل زهير القيروان ، ثم زهد في
 الملك — وكان من رؤساء العابدين — وعاد إلى برقة فصادف الرومَ قد أغاروا
 عليها ، فقاتلهم فاستشهد هو وأصحابه .

١٧٧ — وحسان بن النعمان الغساني

كان بمصر لما قُتل زهير بن قيس ، فأمره عبدُ الملك بغزو إفريقية ، فخرج
 في أربعين ألفاً ، ولم يدخل أحد من الأمراء قبله إفريقية بمثل هذا الجيش ، فضيق
 على قرطاجنة إلى أن تغلب عليها ، ودخلها عنوة فهدمها ، وغزا الكاهنة^(٢) ملكة

(١) هذا القول منقول عن ابن عبد الحكم ، ولم يروه غيره .

(٢) انظر عن الكاهنة وأقوال المؤرخين فيها وحقيقة أمرها وما كان بينها وبين المسلمين

« فتح العرب للمغرب » ص ٢٤٢ وما بعدها .

[١٨٢-١] البربر فهزمته ، ثم عاد إلى غزوها فقتلها ، ثم بعث برأسها / إلى عبد الملك ، وعزله عبد العزيز بن مروان وأخذ كل ما كان معه^(١) .

وذكر ابن عبد الحكم أن حسان رجع من مصر بعد قدومه على عبد الملك شاكياً بأخيه عبد العزيز لتقدمه على برقة غـ [لامه]^(٢) تليداً وخلف ثقله بمصر ، فقدم على عبد الملك^(٣) وهو مريض ، ثم لم يلبث حسان أن توفي على إثر ذلك .

١٧٨ - موسى بن نصير

قدم المغرب أميراً عليه في سنة ثمان وسبعين . وقال الليث : أمر موسى بن نصير على إفريقية سنة تسع وسبعين ، وكان والياً من قبل عبد العزيز بن مروان ، فافتتح عامة المغرب ، وبعث بغنائمه إلى عبد العزيز ، فأنهاها إلى عبد الملك ، فسكن ذلك منه بعض ما كان يجد على موسى^(٤) .

ثم توفي عبد الملك سنة ست وثمانين ، واستخلف الوليد بن عبد الملك ، فتواترت فتوح المغرب عليه من قبل موسى ، فعمّمت منزلته عنده واشتد عجب^(٥) به .

(١) أوجز ابن الأبار أعمال حسان بن النعمان هنا إيجازاً مخلًا .

انظر : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٣١ وما بعدها .

(٢) التكملة من فتوح ابن عبد الحكم (ص ٨٢ - ٨٦) والخبر هناك أكثر تفصيلاً .

(٣) التكملة أيضاً من ابن عبد الحكم ، ص ٨٤ .

(٤) ذكر ابن عبد الحكم بعض التفصيل عما كان بين عبد الملك بن مروان وموسى بن نصير ،

ص ٨٤ .

(٥) العبارة واردة عند ابن عبد الحكم (ص ٨٦) في نهاية كلامه عن أعمال موسى بن نصير

في المغرب ، ولم يذكر ابن عبد الحكم منها شيئاً ذا بال . انظر عن أعمال موسى هذه : فتح العرب =

ووجه موسى ابنه مروان إلى طنجة مرابطاً على ساحلها ، فانصرف وخلف على جيشه طارق بن زياد — وكانوا ألفاً وسبعمائة — فكان ذلك سبب فتح الأندلس^(١) : دخلها طارق بمدخلة صاحب طنجة من الروم ، وزحف يريد قرطبة فتلقته جنودها فهزمهم^(٢) . وبلغ ذلك لذريق ملك الروم ، فزحف إليه من طليطلة ، فالتقوا على نهر لكه^(٣) من كورة شدونة^(٤) ، يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين . واتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعده — تامة ثمانية أيام — ثم هزم الله المشركين ، فقتل منهم خلق عظيم ، أقامت عظامهم ملبسة لتلك الأرض دهماً طويلاً .

المغرب ، ص ٢٧١ وما بعدها . وأوسع مراجعنا عن هذه الأعمال ما يذكره ابن عذارى في البيان المغرب : ١ / ٣٩ - ٤٦ وعبيد الله بن صالح بن عبد الحليم ، انظر : « نص جديد عن فتح العرب للمغرب » بصحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٢ (سنة ١٩٥٤) ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(١) فيما يلي يوجز ابن الأبار فتح الأندلس ، وقد فصلت أمره في كتابي « فجر الأندلس » ولهذا فلن أعلق شيئاً على هذه الفقرة ، ويستطيع القارئ أن يرجع إلى الكتاب المذكور إذا شاء مزيداً من التعريف بالوقائع وأعلام الأشخاص والأماكن .

(٢) يعتمد ابن الأبار هنا على ابن عبد الحكم (ص ٩٢ وما بعدها) وأخباره عن فتح الأندلس ضعيفة ، ومنها خبر ذلك القتال الذي جرى بين طارق وجند قرطبة ، ثم مسيره إلى أن بلغها ، ولا يؤيد ابن عبد الحكم في هذا الرأي أحد من مؤرخي الأندلس ، والمعروف أن طارقاً وهو في الطريق إلى طليطلة بعث مغيثاً الرومي في نفر من الجند فاستولوا على قرطبة .

(٣) الأصل لكه بالتاء المربوطة ، والصحيح بالهاء ، وهو تعريب Lago أى البحيرة ، والمراد البحيرة التي تسمى اليوم لاخاندا (الخندق) التي ينبع منها نهر البرباط ، وبين هذه البحيرة وشاطئ البحر جرت المعركة التي فتحت للمسلمين أبواب الأندلس .

(٤) كذا وردت في الأصل بالذال ، والشائع بالذال ، ولو أن الصيغة الأولى أقرب إلى الاسم الأصلي Sidona ، وقد احتفظ لنا صاحب « التعليق المتفق من فرحة الأنفس » لمحمد ابن أيوب بن غالب الأندلسي (مجلة معهد المخطوطات العربية ، سنة ١٩٥٦) ص ٢٥ بمعظم كلام الرازي عن كورة شدونة . وقد ذكر فيها أن شريش قاعدتها ، ولهذا سميت الكورة في الترجمتين

البرتغالية والإسبانية كورة شريش Distrito de Jerez

انظر : صفة الأندلس للرازي ، أرقام ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ ص ٩٦ .

وخفي أثر لُدْرِيْق ، فلا يُدْرِي أين صَقَعَ ولا ما فعل ، إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأشهب الذى كان عليه — وسرجه من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد — وقد ساخت قوائمه فى حماة وقع فيها ، وغرق العليج فثبت أحد خفيه فى الطين فأخذ ، وخفي الآخر ، وغاب شخصه فما وُجد حياً ولا ميتاً .

ثم تَمَادَى طارق على افتتاح البلاد ، ودخل طَلَيْطَلَةَ . وكتب إلى موسى بن نصير يُعَلِّمه ، فكتب إليه ألا يجاوز قرطبة حتى يقدم عليه . ثم خرج إلى الأندلس فى رجب سنة ثلاث وتسعين ، واستخلف على القيروان ابنه عبد الله ابن موسى — وكان أسنَّ ولده — ففتح الله فتحاً لا كِفَاءَ له ، وكتب إلى الوليد : « إنها ليست بالفتوح ولكنه الحشر ! »

[١٨٢-ب] ثم خرج بغنائمه ، واستخلف على الأندلس / ابنه عبد العزيز ، فلما قدم إفريقية كتب إليه الوليدُ بالخروج إليه ، فخرج واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله ، وسار بتلك الغنائم والهدايا حتى قدم مصر . ومرض الوليد ، فكان يكتب إلى موسى يستعجله ، ويكتب إليه سليمان بن عبد الملك بالملك والمقام ، ليموت الوليد ويصير ما مع موسى إليه . فقدم على الوليد وهو مريض مرضه الذى مات منه ، فنكبه سليمان لأول ولايته ، وأغرمه مائة ألف دينار ، وأخذ ما كان له ، وأقامه للشمس ، وقتل ابنه عبد العزيز ، وبُعِثَ برأسه إلى سليمان — وذلك فى سنة سبع وتسعين — فأراه أباه وقال له : « أتعرف هذا ؟ » قال : « نعم ، أعلمه صوراً قواماً ، فعليه لعنة الله إن كان الذى قتله خيراً منه »

ومكث أهل الأندلس بعد ذلك لا يجمعهم وال ، وكانوا أمروا عند قتله أيوب^(١) ابن أخت موسى بن نصير ؛ وعزم سليمان على الحج ، فأخرج موسى معه على قتب ، فتوفى فى طريقه سنة سبع وتسعين .

(١) هو أيوب بن حبيب اللخمي ، ولى الأندلس من رجب إلى ذى الحجة سنة ٩٧/مارس

١٧٩ - ومحمد بن يزيد ، مولى قریش

ولاه سليمانُ بنُ عبد الملك إفريقيةَ بمشورة رجاء بن حيوة سنة ست وتسعين ، فلم يزل عليها إلى أن توفي سليمان في صفر سنة تسع وتسعين^(١) .

١٨٠ - وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر

مولى بني مخزوم

ولاه عمرُ بن عبد العزيز إفريقية . وكان حسن السيرة ، من خير الولاة ، لم يبق من البربر أحد إلا أسلم على يديه . وأقام والياً إلى أن توفي عُمر بدير سمعان يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وهؤلاء كلهم أهل بلاغة وبيان ، مع ما كانوا عليه من جلالة شان :
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه مصارع لُسُنُ
ولبُسْر بن أرطاة منهم فيما أحسب شعر . وما أحسن قول القاضي أحمد بن
أبي دؤاد : « كل عربي يقدر على قول الشعر » ؛ حكى ذلك أبو بكر الصُّولِي ،
فاعل لهم منه ما أعيا البحثُ عنه .

(١) انظر عن أعماله في إفريقية : البيان المغرب : ٤٧/١ . وقد ورد اسمه في الأصل :

محمد بن زيد : وهو خطأ .